

عادل الأديب

الملك فيصل عشريناً (ع)



دراسة تحليلية

منشورات

مؤسسة الأمل للطبوعات

بيروت - لبنان

ص. ب. ٧١٢٠

الطبعة الثالثة
كافة الحقوق محفوظة ومبجلة
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م



الإمام الحسن العسكري (ع)

عانى الإمام العسكري (ع) مع أبيه الهادي ، وقضى القسط الأهم من حياته في العاصمة العباسية وواكب جميع الظروف والملابسات والمواقف التي واجهت أباه ، وتسلم مركز الإمامة بعد أبيه وعمره آنذاك إثنين وعشرين عاماً .

وجاءت مواقفه امتداداً لمواقف أبيه (ع) بوصفه المرجع الفكري والروحي لأصحابه وقواعده وراعياً لمصالحهم العقائدية والاجتماعية ، بالإضافة إلى تخطيطه وتمهيده ، لغية ولده الحجة بن الحسن المهدي (ع) .

وفي عصر الإمام (ع) جدّت ظروف وملابسات ، ضعفت معها السلطة العباسية إلى درجة سيطرة الموالى والأتراك على مقاليد الحكم .

وكان من المتوقع وفي هذا الجو من ضعف السلطة ، أن يخف الضغط والإرهاب على الإمام وأصحابه ، لكن شيئاً من هذا لم يحدث ، بل ازدادت موجة الإرهاب والضغط وبلغت أوجها على يد الخليفة المعتمد ، لأن الخوف والتوجس من نشاط الإمام وتحركاته لم يكن يقتصر على الخليفة وحده ، بل إن هذه تمثلت في خط اجتماعي عام ، لم يكن الخليفة إلا أحد أفرادهِ .

فكان هذا الخط الاجتماعي العام ، يقف دوماً ضد خط الإمام وأطروحته الفكرية والسياسية ، والتميزة والمتناقضة مع أطروحة الحاكم المتمثل في هذا الخط الاجتماعي العام والطبقة المستأثرة المنحرفة .

ومن هنا كان الصراع الدائم بين الخطين المتناقضين ، ومحاولات الحاكم

لعزل أطروحة الإمام وقيادته عن المسرح الاجتماعي والسياسي ، ومحاسبته على كل بادرة نشاط أو تحرك حتى ولو كانت وشاية نافذة أو خبر صغير عن نشاط الإمام « وقد حبسه المتوكل ولم يذكر سبب ذلك ، ولا شك أن سببه العداوة والحسد وقبول وشاية الواشين كما جرى لآبائه مع المتوكل وآبائه من التشريد والحبس والقتل وأنواع الأذى ، وروي أنه (ع) قتل مسموماً على يد المعتمد » (١) .

ومن هنا لا ينبغي توقع خفة الضغط ، وموجته المربعة بتوالي الأعوام ، بل يحدثنا التاريخ عن شدتها وترسخها .

وهذا التصاعد الحاقداً في محاربة الإمام (ع) كان السبب والدافع الرئيسي والمهم ، لحدوث الغيبة ، كما سنوضحه فيما يأتي إن شاء الله .

خطة الإمام (ع) في مواجهته للأحداث :

ويمكن تقسيم مواقف الإمام (ع) وخطته تجاه الأحداث بما يلي من المواقف :-

الموقف الأول :

موقفه من الحكم والحكام :- كانت سياسة العباسيين تجاه الأئمة (ع) واضحة من أيام الإمام الرضا (ع) وتلخصت بالحرص على دمج إمام أهل البيت وصهره في الجهاز الحاكم ، وضمان مراقبتهم الدائمة له ، ومن ثم عزله عن قواعده ومواليه .

هذه السياسة المخادعة كانت نافذة تجاه الإمام الحسن العسكري كذلك لمزاياها الكثيرة بالنسبة للحكم ، فكان العسكري (ع) كوالده مجبراً على الإقامة في سامراء ، مكرهاً على الذهاب والحضور إلى بلاط الخليفة كل يوم اثنين

(١) الموسوعة ص ٩٤ .

ولكن الإمام (ع) كآبائه في موقفه من الحكام ، وقف موقفاً حذراً ومحترماً في علاقته بالحكم ، دون أن يثير أي اهتمام أو أن يلقي بنفسه في أضواء الحكم وجهازه ، بل كانت علاقته بالحكم روتينية رتيبة ، تمسكاً بخط آبائه تجاه السلطة العباسية .

فوقف الإمام السليبي هذا أكسبه أمام الحكام احتراماً ومرتلة رفيعة ، وهذا ما نلاحظه من خلال علاقته بوزراء عصره وكيف أن الإمام (ع) كان يفرض شخصيته وجلالها حتى على أشد الناس حقداً وانحرافاً عن - أهل البيت - وهو الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان الذي يقول في الإمام (ع) : « ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة وتقديمهم على ذوي السن منهم والخطر » (٢)

والملاحظ من كلام هذا الوزير مدى احترامه وتقديسه للإمام (ع) ، وقد زاره الإمام مرة وقابله في مجلس قصير (٣) لكي يفهمهم أن وقوفه (ع) إلى جنب الوزير في انتقاده للظلم والانحراف الذي يمارسه الجهاز الحاكم ، إنما يقفه لتأييد كل حق أننا وجد ، لأن المسألة عنده مسألة أمة ورسالة وهي تسمو على المداوات الشخصية والإختلافات ، وربما أراد كذلك أن يوجههم بعدم الخروج على سياستهم أو الاحتجاج ضدهم وربما كانت سبباً تدفع الحاكم للتخفيف عن أصحابه من الضغط والمطاردة التي يلقونها من الدولة .

وقد أراد الإمام (ع) أن يلتقي بالوزير في محل عام « وفي أثناء جلوس

(١) المناقب جزء ٢ ص ٥٢٣ .

(٢) الإرشاد ص ٣١٨ وأعلام الوري ص ٣٥٧ .

(٣) المناقب ج ٣ ص ٥٢٦ .

الوزير يخبره حاجبه بأن أبا محمد بن الرضا بالبواب فيأخذ هذا الخبر اهتماماً في نفس الوزير ، قال ولده أحمد : فتعجبت مما سمعت منهم ومن جسارتهم أن يكونوا بحضرة أبي ، ولم يكن يكتفى عنده إلا خليفة أو ولي عهد .

يقول : فدخل رجلٌ حسنُ القامة ، جميل الوجه ، جيد البدن حديث السن ، له جلالة وهيبة حسنة .

قال أحمد : فلما نظر إليه أبي ، قام فشى إليه خطي فعاتقه وقبل وجهه وصدره وأجلسه على مصلاه وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه ، وجعل يكلمه ويفديه بنفسه ...

وقد بقي أحمد بن عبيد الله متحيراً في أمر أبيه وأمر الإمام حتى إستأذن مرة أباه بالسؤال وقال : يا أبة من الرجل الذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والكرامة والتبجيل . فقال يا بني ذاك إمام الرافضة الحسن بن علي ، ثم سكت وأنا ساكت ، ثم قال : يا بني لو زالت الإمامة عن خلفائنا بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غيره لفضله وعفافه وصيائه وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه ^(١)

مركز تحقيقات كميونير علوم دینی

وهذا يدل على ما للإمام (ع) من حب وتعظيم وإدراك لعذالة قضيته وأجدريته بالحكم .

والإمام العسكري (ع) كان يقف من بعض الأحداث موقف الساكت دون تصريح إيجابي أو سلبي تجاهها ، كما فعل مع صاحب - ثورة الزنج - الذي زعم الإنتساب إلى الإمام علي (ع) ولم تكن ثورته تجسيداً لأطروحة - أهل البيت - لما ارتكبه ثورته من قتل الكثير من الناس ، وسلبه الأموال وإحراقه المدن وسببه النساء ، كل ذلك بالجملة وبلا حساب أو رادع من دين .

(١) الإرشاد ٣١٨ .

فوقف الإمام إزاء سلوكية الثورة كان قطعاً موقف الرفض والمستنكر لما ارتكبته من أعمال تتنافى وأحكام الإسلام ولكن الإمام (ع) آثر السكوت والصمت ولم ينتقد تصرفاتها ولم يتعرض لتفاصيلها ، ولو فعل ذلك لكان عمله هذا يعتبر تأييداً ضمنياً للدولة ، لأن ثورة الزنج بالرغم من سلباتها الكثيرة فهي بالتالي تتفق وأهداف الإمام (ع) من إضعاف حكم العباسيين وكسر شوكتهم ، وهو أمرٌ ينبغي على الإمام (ع) أن يستفيد منه لصالح حركته ونشاطه ، لأن المعارضين مهما اختلفوا ، فهم بالتالي يشتركون في مناوأة عدو واحد وهو الوضع الحاكم .

فالإمام يستفيد من نتائج حركة الزنج ، لأن الدولة سوف تضعف ، ولا يمكنها من أن تحارب على جبهتين أو أن تعطي لكل جبهة ثقلها المطلوب ، وربما أدى ذلك - إلى حد ما - إلى تخفيف الضغط على جبهة الإمام (ع) ، ولو أن الدولة كانت ترى أن نشاط الإمام (ع) أشد خطراً وأبعد أثراً على المدى البعيد من حركة الزنج التي لا يعدو كونها تحركاً آنياً سرعان ما يزول .

الموقف الثاني : -

مركز تحقيقات البحوث الإسلامية

موقفه من الحركة العلمية والتثقيف العقائدي : -

وتمثلت مواقفه العلمية بردوده المفحمة للشبهات الإلحادية وإظهاره للحق بأسلوب الحوار والجدل الموضوعي والمناقشات العلمية ، وكان يردف هذا النشاط بنشاط آخر بإصداره البيانات العلمية وتأليفه الكتب ونحو ذلك .

وهو بهذا الجهد « يحون الأمة العقائدية شخصيتها الرسالية والفكرية من ناحية ومقاومة التيارات الفكرية التي تشكل خطراً على الرسالة ، وضربها في بدايات تكونها من ناحية أخرى ، وللإمام من علمه المحيط المستوعب ما يجعله قادراً على الإحساس بهذه البدايات وتقدير أهميتها ومضاعفاتها والتخطيط للقضاء عليها .

ومن هنا جاء موقف الإمام العسكري واهتمامه وهو في المدينة بمشروع كتاب

يضعه الكندي « أبو يوسف يعقوب بن إسحاق » فيلسوف العراق في زمانه ، حول متناقضات القرآن إذ إتصل به عن طريق بعض المتسبين إلى مدرسته وأحبط المحاولة وأقنع مدرسة الكندي بأنها على خطأ ^(١) وجعله يتوب ويحرق أوراقه ^(٢) .

وله (ع) بيانات علمية لأبي هاشم الجعفري في مسألة خلق القرآن ^(٣) وكذلك في تفسير القرآن ^(٤) .

الموقف الثالث : -

موقفه في مجال الإشراف على قواعده الشعبية وحماية وجودها وتنمية وعيها ومدتها بكل أساليب الصمود والإرتفاع إلى مستوى الطليعة المؤمنة .

وكثيراً ما كان ينبههم (ع) من الوقوع في الشرك العباسي ويعينهم على نواصب الدهر اقتصادياً وإجتماعياً من جراء ما يلاقونه من معاملة قاسية من الحكام .

وقد كتب الإمام محمداً محمد بن علي السمرى وهو خاصة أصحابه ورابع نواب ولده الحجة المهدي (ع) في غيبته الصغرى قائلاً له « فتنة تفلحكم .. فكونوا على أهبة » ^(٥) .

وكان يأمر أصحابه بالصمت والكف عن النشاط ريثما تعود الأمور إلى مجاريها وتستتب الحوادث .

وكان (ع) يحذر أصحابه حتى وهم رهن الاعتقال ، وقد اعتقل مرة جماعة من أصحابه ووضعوا تحت إشراف صالح بن وصيف وهم : أبو هاشم

(١) دور الأئمة للصدر .

(٢) للناقب ج ٣ ص ٥٢٦ .

(٣) نفس المصدر ج ٣ ص ٥٣٥ .

(٤) الإحتجاج ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٥) كشف الغمة ج ٣ ص ٤٠٧ .

الجعفري ، وداوود بن القاسم ، والحسن بن محمد العقيقي ، ومحمد بن إبراهيم العمري وغيرهم . فأخبرهم الإمام (ع) أن يحذروا واحداً في الحبس يدعى أنه علوي وهو ليس منهم ، وفي ثيابه قصة قد كتبها إلى السلطان يخبره فيها بما يتحدثون عنه ، فقام بعضهم ففتش ثيابه فوجد القصة كما أخبرهم الإمام (ع) (١) .

ومن مواقفه تجاه أصحابه مساعدته لهم بالمال لأجل مصالحهم المادية العامة . فقد كانت تأتي الإمام (ع) أموال كثيرة من مختلف المناطق الإسلامية التي تتواجد فيها قواعده الشعبية ، وذلك عن طريق وكلائه المنتشرين فيها .

وكان الإمام (ع) يحاول جاهداً وبأساليب مختلفة أن يخفي هذا الجانب إخفاء تاماً على السلطة ، ويحيطه بالسرية التامة .

ونستطيع أن نلاحظ ، كيف استطاع الإمام وهو المضطهد المراقب أن يستلم الأموال ويصرفها طبقاً للمصالح التي يراها دون أن تعرف الدولة شيئاً عن نشاطه هذا ، بل تقف تجاهه عاجزة مكتوفة الأيدي عن كشفه ، بالرغم من بذل أقصى وسعها في ذلك ، وما انكشف بعض هذه الأموال للدولة إلا نتيجة لتقصير بعض الأطراف في الأخذ بهذا المسلك (٢) .

ولقد وقفت الدولة العباسية موقفاً شديداً وصارماً من أصحاب الإمام (ع) وقواعده المساندة ، وقد فعلت الكثير من أجل تجميع أطروحة الإمام (ع) وشرذمة أصحابه ، وعمدت إلى شراء الضمائر بالمال الوفير والعيش الرغيد .

وكان الإمام (ع) يقف من هذه المحاولات موقف الناصح والمسدد لأصحابه قائلاً لهم : الفقير معنا خيرٌ من الغني مع غيرنا ، والقتل معنا خيرٌ من الحياة مع عدونا ، ونحن كهف لمن التجأ إلينا ، ونور لمن استبصر بنا وعصمة لمن اعتصم

(١) نفس المصدر ج ٣ ص ٢٢٢ وأعلام الوري ٣٥٤ .

(٢) راجع للتوسع تاريخ الغيبة للمصدر ص ٢٠٦ .

بنا ، من أحبنا كان معنا في السنام الأعلى ومن انحرف عنا فإلى النار ، (٢) .

الموقف الرابع :

موقفه من التمهيد للغيبة

إن الإمام العسكري (ع) « حين يعلم بكل وضوح تعلق الإرادة الإلهية بغيبة ولده من أجل إقامة دولة الله على الأرض وتطبيقها على الإنسانية أجمع ، والأخذ بيد المستضعفين في الأرض ليبدل خوفهم أمناً .. يعبدون الله لا يشركون به شيئاً ..

يعرف أن عليه مسؤولية التمهيد لغيبة ولده ، وذلك لأن البشر اعتادوا الإدراك والمعرفة الحسية ، ومن الصعب على هذا الإنسان المعتاد على المعرفة الحسية فقط أن يتجاوز إلى تفكير واسع .

ولم يكن مجتمع الإمام (ع) الذي عاصر بواقعه المنحرف وهبوط مستواه الفكري والروحي يسمو إلى عمق هذا الإيمان وسمو فكرته ، خاصة وأن غيبة الإمام حادث لا مثيل له في تاريخ الأمة .

والإرهاصات المسبقة والنصوص الكثيرة المتوالية التي جاءت تبشر بالمهدي (ع) وإن كانت متواترة وصحيحة عن النبي (ص) وإن رواها مؤلفو الصحاح وهم معاصرون أو متقدمون على هذه الفترة بمن فيهم البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل .. نقول وإن كان لكل هذه النصوص والتبليغات ، أثرها الكبير والفاعل في ترسيخ فكرة انتظار المهدي (ع) في نفوس المسلمين بشكل عام ، وكان إيمانهم بها يتناسب تناسباً طردياً مع عمق إيمان الفرد وسعة تفكيره واتجاه مذهبه في الإسلام ، فإن هذه النصوص ليست أكثر من عون للإمام لكي يقنع الناس بالإيمان بالغيبة من ناحية ويبرهن للناس تجسيد الغيبة في ولده المهدي من ناحية أخرى .

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٢١١ .

والأمر الأصعب الذي تحمل مسؤوليته الإمام العسكري (ع) بصفته والدًا للمهدي (ع) هو إقناع الناس بفكرة حلول زمان الغيبة وتنفيذها في شخص ولده الإمام المهدي (ع) وهو أمر صعب بالنسبة للفرد العادي إذ أنه سوف يفاجأ ويصدم بإيمانه بفكرة الغيبة ، فإن هناك فرقاً كبيراً في منطلق إيمان الفرد العادي بشكل مؤجل لا يكاد يحس الفرد بأثره في الحياة وبين الإيمان بالغيب مع الاعتقاد بتنفيذه في زمان معاصر ، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الإقراض التوضيحي التالي :-

إذا أخبرنا شخص - لا نشك بصدقه - بقرب حدوث قيام الساعة أو قرب حدوث أجلنا ، فإن مثل هذا الخبر سوف يولد لنا صدمة للإيمان بها ، لأن الإيمان بحدوثها يحتاج إلى قوة مضاعفة من الإيمان والإرادة ، وأن نحشد كل قوانا الإيمانية والروحية كي نتوصل معها للإيمان بهذا الأمر الغيبي .

هذه الحقيقة النفسية وملابساتها ، كانت تلح على الإمام أن يبذل كل الجهد لتخفيف وقع الصدمة وتذليلها وتهيئة أذهان الناس لإستقبالها دون رفض أو إنكار ، وتعويد أصحابه وقواعده على الإلتزام بها وخاصة وهو يريد تربية جيل واع يكون النواة الأساسية لتربية الأجيال الآتية والتي ستبني بمجهودها تاريخ الغيبتين الصغرى والكبرى .

وإذا عطفنا على ذلك تلك الظروف والمعاناة الصعبة التي عاشها الإمام وأصحابه من قبل الدولة ، وضرورة العمل والتبشير بفكرة المهدي الثورية ، والتي كانت تعتبر في منطق الحكام أمراً مهدداً لكيانهم وخروجاً على سلطانهم وتمرداً على دولتهم .

ومن هنا نحس بكل وضوح دقة التخطيط الملقاة على كاهل الإمام العسكري (ع) وخرج موقفه وهو يدعو لفكرة ولده المهدي (ع) .

الإمام (ع) ، يمهّد لغيبته ولده المهدي (ع)

وقد اتجه نشاط الإمام العسكري وتخطيطه في تحقيق هذا الهدف إلى عمليتين

ممهدين : -

١ - حجب المهدي (ع) عن أعين الناس مع إظهاره لبعض خاصته فقط .

٢ - شن حملة توعية لفكرة الغيبة ، وإفهام الناس بضرورة تحملهم لمسؤولياتهم الإسلامية تجاهها وتعويدهم على متطلباتها .

فعلى المستوى الثاني رأينا الإمام العسكري يصدر بياناته وتعليماته عن المهدي (ع) كحلقة متسلسلة من تلك النصوص والتعليمات التي بشر بها النبي (ص) والأئمة من بعده مع التأكيد والتخصيص على ولده المهدي (ع) .
واتخذت بيانات العسكري (ع) أشكالاً ثلاثة :

أ - بيان عام ، كالتعرض إلى صفات المهدي (ع) بعد ظهوره وقيامه في دولته العالمية ، كجوابه (ع) عن سؤال بعض أصحابه عن قيام المهدي قائلاً : « فإذا قام قضى بين الناس بعلمه كفضاء داوود لا يسأل البيعة » (١) .

ب - توجيه نقد سياسي للأوضاع القائمة ، يقرنها بفكرة المهدي وضرورة تغييرها لها ، فن ذلك قوله : « إذا خرج القائم أمر بهدم المنابر والمقاصر في المساجد » وكانت تبني هذه المقاصر لغرض الأمن من الاعتداء على الخليفة وزيادة الهيبة في نفوس الآخرين ، (٢) .

ج - توجيه عام لقواعده وأصحابه ، يوضح لهم أبعاد فكرة الغيبة ، وضرورة التكيف لها من الناحية النفسية والاجتماعية تمهيداً لما يعانونه من غيبة الإمام وانقطاعه عنهم .

فن ذلك كتب الإمام (ع) لابن بابويه رسالة يقول فيها :

(١) الإرشاد ص ٣٢٣ .

(٢) الناقب ج ٣ ص ٥٣٦ .

« عليك بالصبر وانتظار الفرج ، قال النبي (ص) أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج ، ولا يزال شيعة في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي (ص) بملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي وأمر جميع شيعة بالصبر ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » (١).

٣ - وقد اتخذ الإمام العسكري (ع) موقفاً آخر يمهّد فيه للنغية عندما احتجب بنفسه عن الناس ، إلا عن خاصة أصحابه وأوكل مهمة تبليغ تعليماته وأحكامه بواسطة عدد من خاصته وذلك بأسلوب المكاتبات والتوقيعات ، ممهّداً بذلك إلى نفس الأسلوب الذي سوف يسير عليه ابنه المهدي (ع) في غيبته الصغرى وهو في احتجابه وإيصاله للتعليمات .

وقد يبدو الأمر غريباً مفاجئاً للناس لو حدث هذا بدون مسبقات ومهدات كهذه . ومن هنا كان أسلوب الإمام العسكري ، منهجاً خاصاً في تهيتة ذهنيات الأمة وتوعيتها لكي تقبل هذا الأسلوب وتستسيغه من دون استغراب ومضاعفات غير محمودة .

مركز تحقيقات كميته في علوم اسلامی

وكان قد بدأ التحضير والتخطيط لهذه الفكرة - بشكل بسيط - أيام الإمام الهادي (ع) عندما احتجب عن كثير من موالیه وأخذ يرسلهم عن طريق الكتب والتوقيعات (٢) ليعود شيعة على هذا المسلك بشكل متدرج بطيء موافقاً بذلك الفهم العام لدى الناس .

وفعللاً اعتاد أصحابه وموالیه الإتصال به والسؤال منه بطريق المراسلة والكتابة ، (٣).

(١) نفس المصدر ص ٥٢٧ .

(٢) إنبات الوصية ص ٢٦٢ .

(٣) الإرشاد ٣٢٣ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٠٧ .

وكذلك نظام الوكلاء الذي اتبعه الإمام العسكري مع قواعده الشعبية كان أسلوباً آخر من أساليب التمهيد لفكرة الغيبة .

وكان الشيعة إذا حملوا الأموال من الحقوق الواجبة عليهم إلى الإمام (ع) نفذوا إلى - عثمان بن سعيد العمري السهمان - الذي كان يتجر بالسمن تغطية لنشاطه في مصلحة الإمام (ع) فكان يجعل الأموال التي يتسلمها في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى الإمام (ع) بعيداً عن أنظار الحاكمين ، لأنهم إذا عرفوا أمره صادروه (١) .

وسنجد في البحث المقبل أن نظام الإحتجاب والوكلاء ، هو الأسلوب نفسه الذي يكون ساري المفعول في غيبة الإمام الصفري ، بعد أن اعتاد الناس عليه في مسلك الإمامين العسكريين عليهما السلام وخاصة الإمام الحسن العسكري (ع) وهنا ما سنوضحه في البحث التالي إن شاء الله .



مركز تحقيقات كنج پور علوم اسلامی

(١) غيبة الشيخ الطوسي ص ٢١٥ - ٢١٩ .

الامام المهدي (ع)

تمهيد : -

- تعرفنا فيما سبق - على خطة العباسيين وسياستهم تجاه أئمة أهل البيت (ع) ،
بصهر الإمام في جهازهم الحاكم تمهيداً لتميع أطروحتهم وعزلهم عن قواعدهم
الشعبية ، وكان الواحد منهم يعاني القهر والخوف والفقر والعذاب ، من سياستهم
الفاشمة .

وقد أجبرتهم سياسة البطش والإضطهاد إلى النشاط السري المحاط بالكتمان
والرمزية قولاً وعملاً ، والانتقال من مرحلة المد والتوسع الأفقي إلى مرحلة الحفاظ
على البقاء ، ومحاولة الإتصال المباشر بأصحابهم الخالص ، بعد أن يختبروا فيهم
قوة الإرادة والصمود أمام ضغط الأحداث الصعبة ، وهي مرحلة كانت تستهدف
إذكاء روح الجذوة والأمل الثوريين - من خلال فكرة المهدي المنتظر - في نفوس
الشيعية ومتابعة دور المعارضة الصامدة أمام هجمات الانحراف ضد الخط الرسالي ،
بالشكل الذي لا يتنافى ومرونتهم في العمل السياسي والتحريضي تجاه الدولة .

هذا الدور الفاعل والإيجابي ، هو الذي دفع السلطات إلى الحذر الدائم
والتوجس المستمر ، من كل قول أو فعل يصدر عن الإمام (ع) أو عن أحد
أصحابه ، فكانت السجون ووسائل القهر الإبراهيمية ، وسيلة من وسائلهم لتثبيت
القواعد الموالية للإمام (ع) ومنعها من الإتصال بقيادتها المتمثلة في الإمام (ع) .
وكثيراً ما كان الأمر ينتهي بهم إلى السجون ، وإلقاء القبض على الإمام

نفسه ، ليبقى في غياهب السجون مدة ، ثم يخرج ليسجن ثانية .

ومع هذا فقد استطاع الإمامان الهادي والعسكري (ع) بالرغم من سياسة المضايقة والمراقبة الدائمة ، أن يخفيا نشاطهما ، ويسترا الأموال والتعاليم التي تبلغ من قبلهما .

وفي هذا الجو المشحون بالحقد والضغينة على حركة أئمة أهل البيت (ع) كانت الدولة العباسية ، تدرك واجبها تجاه الأفكار التي كانت تملأ ذهنيات المسلمين عامة والموالين خاصة بالاعتقاد بوجود - المهدي (ع) - لتواتر أخباره منذ زمن النبي (ص) إلى زمان الإمام العسكري (ع) .

والسلطات كانت تعلم على وجه الإجمال ، أن زمان المهدي قد أوشك على الوجود ، ولكنهم يجهلون تاريخ ميلاده لمدى السرية التامة التي أحيطت بولادته (ع) .

ومن هنا جاء اهتمام الجهاز الحاكم بإصدار أوامره لمراقبة الحوامل عند وفاة الإمام العسكري ظناً منهم بوجود المهدي (ع) جنيئاً في رحم إحدى نسائه .

في ظروف ولادة الإمام المهدي (ع)

تزوج الإمام العسكري - أمة مملوكة - جلبت بواسطة الفتح الإسلامي وكانت تسمى بأسماء مختلفة من قبل الإمام (ع) ^(١) . وقد عاشت تخطيطاً خاصاً في تبديل اسمها بين آونة وأخرى ! وذلك لمعرفة العسكري (ع) بأنها ستصبح أماً للمهدي (ع) وسترى المطاردة والإضطهاد من قبل السلطات وستعيش في السجن مدة من الزمن .

ومن هنا جاء تخطيط الإمام (ع) تجاهها إمعاناً في الحذر وزيادة في التوقي

(١) راجع أسماؤها في كتاب تاريخ الفية للصدر وغيرها من المعلومات انفصلة فقد اعتمدنا في هذا البحث على كثير من آرائه .

عليها وعلى ابنها ، ولأجل أن يلتبس أمرها في ذهن السلطات ، إن صاحبة أي من هذه الأسماء هي المسجونة ، وأي منها هي الحامل وأي منها هي الوالدة ، حيث يكون المفهوم لدى السلطات كون الأسماء لنساء كثيرات ويغفلون عن احتمال تعددها في شخص امرأة واحدة ..

ولادته

ولد الإمام المهدي (ع) من يوم النصف من شعبان عام ٢٥٥ هـ ^(١) وعاصر من حياة أبيه خمس سنوات ، وانصب نشاط أبيه (ع) الرئيسي خلال ذلك على أمرين مهمين : -

أحدهما : الحذر التام من السلطات الحاكمة .

ثانيهما : التعرف إلى خواص أبيه (ع) .

وتولى الإمام المهدي (ع) مسؤولية الإمامة بعد وفاة أبيه (ع) وهو ابن خمس سنين سنة ٢٦٠ هـ ، وصغر سن الإمام ليس ظاهرة غريبة - كما هو مبين في بحثنا عن الجواد (ع) - فالإمامة هبة يمنحها الله تعالى من يشاء من عباده ، فمن تتوفر فيه عناصر الإمامة وشروطها شأنها في ذلك شأن النبوة ، فقد أوتي النبي يحيى (ع) الحكم صبياً آية ١٢ من سورة مريم .

مسؤولية الإمام العسكري (ع) تجاه ولده

بعد ولادة الإمام المهدي (ع) واجه الإمام الأب وظيفتين مزدوجتين تجاه ولده (ع) :

١ - إثبات وجود المهدي (ع) تجاه التاريخ وتجاه الأمة الإسلامية وتجاه

(١) الإرشاد ٣٢٦ وأعلام البرى ٢٩٣ .

قواعده ومواليه ، مع الحذر من السلطة ، دون أن يبلغ به الحذر والكتمان إلى إخفائه الكامل ، بحيث يؤدي إلى انطماس اسمه وإنكار وجوده ، وإقامة الحجة في وجوده على الموالين خاصة ، والمسلمين عامة ، داحضاً بها المزاعم التي تزعم بعدم وجوده أو أنه ليس للإمام العسكري من ولد .

٢ - التخطيط لحماية المهدي (ع) من محاولات قتله ومطاردته من قبل السلطات ، التي أبدت اهتمامها الشديد والمركز ، ومحاولاتها المستميتة للقضاء عليه وتجنيد كل قواها وعيونها من أجله لأن ولادته (ع) تعني الحكم على نظامهم بالموت المحتم وفصح مخططاتهم وانحرافهم عن أوامر الإسلام .

ومما زاد في دقة وحرص موقف الإمام العسكري في تحقيقه لهذين الهدفين أو الوظيفتين المزدوجتين تجاه ولده (ع) تعرضه لأضواء السلطة ومراقبتهم الدائمة له ، وباعتباره القائد الإسلامي لقواعد شعبية واسعة من المسلمين ، وتمثيله لجهة الرفض المعارضة والمناوئة للسلطة الحاكمة آنذاك .

ومن هنا كان تخطيط الإمام (ع) في اجتياز هذا المأزق بسلام هو ترك الإعلان أو الكشف عن ولادة ابنه (ع) وكأن شيئاً لم يحدث على الإطلاق « حتى أن الخادم في بيت الإمام العسكري لم يتببه إلى شيء ولم يفهم شيئاً » (١) .

ومما ساعد الإمام العسكري وأعاناه على نجاح خطة إخفاء الولادة احتجابه عن أصحابه ومواليه إلا بواسطة المراسلات ، وتعود قواعده ومواليه على فكرة الإحتجاب والاتصال بقيادة الإمام عن طريق نظام الوكلاء وتسلسله الهرمي ، وانشغال الدولة وأجهزتها بحركة صاحب الزنج عام ٢٥٥ هـ .

وإلى هنا استطاع العسكري (ع) أن يضمن حماية ولده (ع) من بطش السلطة وكل من يدور في فلكهم .

(١) تاريخ النبية للصدر نقلاً عن كتاب ص ٢٧٣ إكمال الدين مخطوط .

وكان الإمام (ع) يلزم كل من يطلع على أمر ولادة ولده المهدي (ع) بوجوب الكتمان . وقد كتب الإمام العسكري (ع) لأحمد بن اسحاق : « وُلِدَ لنا مولود ، فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً » ^(١) ، والتأكيد على حرمة إطلاع أحدٍ على اسمه (ع) وكان عثمان بن سعيد العمري يقول لمن يسأل عن اسم الإمام (ع) « إياك أن تبحث عن هذا » ^(٢) .

وكان الإمام (ع) يحتاج كثيراً من التصريح باسمه لأحد ويكتفي بالقول لهم : « هذا صاحبكم » ويقتصر في التصريح باسمه على أقل القليل من أصحابه . وكان يكفي - في علم الإمام - هذا القدر من الإطلاع وإن كان الاسم مجهولاً ، بل يكفيهم الإيمان بوجود إمام يرجعون إليه في الأحكام والمشاكل ، ولا يتوقف ذلك على معرفة اسمه بعد معرفة شخصه وإمكان الإتصال به عن طريق سفرائه .

ولعل أوسع إعلان قام به العسكري (ع) بين أصحابه عن ولادة ابنه من بعده ، وذلك قبيل وفاته بأيام ، وقد كان مجلسه غاصاً بأربعين من أصحابه ومخلصيه منهم محمد بن عثمان ومعاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب ... يعرض عليهم ابنه (ع) ويقول لهم « هذا صاحبكم بعدي وخليفتي عليكم ... وهو القائم الذي نُمَد إليه الأعناق بالانتظار ، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فلأها قسطاً وعدلاً » ^(٣) .

جعفر بن علي خببر الدولة

جعفر هو ابن الإمام علي الهادي (ع) تترجم لنا كتب التاريخ حياته بالشكل الآتي « ترعرع وشب على الإنحراف عن تعاليم الإسلام ، واتخذ طريق اللهو وشرب

(١) تاريخ الغيبة للمصدر نقلاً عن إكمال الدين مخطوط ص ٢٧٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٧٨ .

(٣) تاريخ الغيبة للمصدر ص ٢٨٣ نقلاً عن إكمال الدين .

الخمر والمجون ، وكان والده (ع) يأمر أصحابه بالإبتعاد عن جعفر وعدم مخالطته ، ويقول فيه « انه مني بمنزلة نمرود من نوح الذي قال الله عز وجل فيه : قال نوح : إن ابني من أهلي . قال الله : يا نوح انه ليس من أهلك انه عملٌ غير صالح » (١) .

ويستفاد من الأخبار أن لجعفر ثلاث نشاطات منحرفة مضادة وقف معارضاً بها الإمام المهدي (ع) وهي : -

- ١ - ادعاؤه بالإمامة بعد أخيه الإمام العسكري (ع) .
- ٢ - انكاره لوجود أي وريث شرعي للإمام العسكري (ع) . وادعاؤه باستحقاقه التركة .

٣ - وعندما احتج الإمام المهدي ، أوعز إلى السلطات بإحتمال وجوده ، مما جعلها تشن حملة اعتقالات ومطاردات وتفتيش واسعة النطاق ، انتهت باضطهاد الموجودين من عائلة الإمام (ع) ولكن بالتالي خاب أملهم بالعثور على الإمام المهدي (ع) .

ومن هنا نرى أن الخليفة - المعتمد - عندما أخبره جعفر بوجود المهدي واختفائه ، أرسل على الفور رجاله ونخيله إلى دار الإمام الحسن العسكري (ع) لتفتيشه ، وبعد التفتيش الدقيق لكل مرافق البيت . لم يجدوا شيئاً ، وعند رجوعهم حاولوا نهب وسلب كل ما وقعت عليه أعينهم من متاع الدار ، وبينما هم منشغلون بالنهب والسلب ، تحين المهدي (ع) الفرصة ليخرج من الباب وهو ابن ست سنين ، فلم يره أحدٌ منهم حتى اختفى ، (٢) .

« وكانوا لا يعرفون بالتحديد عن يبحثون وأي شخص سوف يجدون ،

(١) تاريخ سامراء ج ٢ ص ٢٥١ نقلاً عن كتاب مدينة العاجز .

(٢) الخرايج والجرايع ص ١٦٤ .

ففكرتهم عن الإمام غامضة ، فلم يكن مستبعداً أنهم لم يلتفتوا وهم في نشوة السلب والنهب إلى وجود صبي يخرج من بين أيديهم بكل بساطة وهدوء ودون أن يشير أي اهتمام .

وبعد الإتهام ، ألقوا القبض على الجارية - صقيل - أم المهدي (ع) وأخذوها للتحقيق إلى الجهات المسؤولة للإستفسار عن الصبي وجمع المعلومات منها ، فأنكرته وادعت أنها لم تلد ، وأصررت أن لا تبوح بالسر ، وأبقت ولدها محجوباً مصوراً من الاعتداء .

وقد تحملت أم المهدي (ع) وسائل القهر والتعذيب بكل اخلاص وصمود وحاولت أن توهم سلطات التحقيق ، فتدعي « أن بها حملاً ، ويقع كلامها في ذهن الحكام موقفاً محتملاً ، ولربما ظنوا في أنفسهم بأن هذا الحمل الذي تدعيه هو المهدي المطلوب ، وخصوصاً أن الدولة كانت تنتظر ولادة المهدي من أيام الإمام العسكري ، وها قد انتهت حياته ولم تر له ولداً ، وحيث أن الدولة لم تتأكد من ولادته فحسبهم الآن أن يراقبوا هذه الجارية إلى حين ولادتها ويتدبروا بعد ذلك أمر وليدها ويتخلصوا منه .

وقد أسرعت السلطات إلى وضع الجارية تحت المراقبة الشديدة والمستمرة ، وجعلوها بين نساء المعتمد والموفق ونساء القاضي ابن أبي الشوارب ، ولا زالوا يتعاملون أمرها .. حتى طالت المدة ولم يحصلوا على شيء وبقيت الجارية محتجزة على هذه الحالة أكثر من عامين ، حتى انشغلت الدولة بمشاكل وحروب في عدة جبهات أنسهم أمر هذه الجارية وتمكنت بذلك من الخروج منهم بسلام ، (١) .

الغيبية الصفري

تبدأ من عام ٢٦٠ هـ إلى عام ٣٢٩ هـ .

(١) أنظر الكامل ج ٦ ص ١٥ وكذلك تاريخ الطبري .

إن غيبة الإمام (ع) لا يمكن أن تفسرها « بابتعاد الإمام المهدي (ع) عن المجتمع ومشكلاته المعقدة ، بل كان المهدي (ع) قائداً فذاً يعيش بشعوره المرهف آلام وآمال أمته وقواعده الشعبية ويتجاوب معهم بالفكر والعمل ، وذلك حسب مقتضيات الظروف والمصلحة الإسلامية .

وكان الإمام المهدي (ع) يتصل مباشرة ببعض الخاصة من أصحابه ، ويوصيهم بتبليغ ما شاهدوه إلى الناس ، مع إيصالهم بكتبان المكان وغير ذلك من الخصوصيات التي قد تدل عليه وتيسر للسلطات طريق الوصول إليه ، وكان (ع) يجيب على أغلب المسائل التي تصله وذلك عن طريق وكلائه وسفرائه المعتمدين لهذا العمل ، وكان من المتعذر على غير السفراء الوصول إليه ، إلا أن أحرز فيه الإخلاص وعدم افشاء السر ، وكان يوصيهم بحزمة التصريح باسمه بل يتم التصريح باسمه بأسماء مستعارة تشير إليه دون أن تعينه ، كالقائم ، والغريم ، والحجة ، وصاحب الزمان ونحو ذلك ، فإن السلطات « إن وقفوا على الإسم أذاعوه وإن وقفوا على المكان دلوا عليه ،

وكان الإمام (ع) يغير مكانه بين آونة وأخرى دون أن يلفت إلى ذلك الأنظار .

مطاردة السلطات للإمام (ع)

كان القبض على الإمام (ع) أحد أهداف الدولة الكبرى ، لأنها تعلم أن وجود الإمام (ع) معناه تهديد لسلامة حكمهم ، ومن هنا جاءت محاولاتهم المستميتة لتحسين دولتهم ضد خطره ، وتجريد الحملات للقبض عليه ، وقد جردت السلطات ثلاث حملات إرهابية للقبض عليه والأمر بكبس داره وتفتيشها تفتيشاً دقيقاً .

وكان التجسس المستمر والحذر البالغ من قبل السلطات سياسية متبعة من قبل كل الحكام لكشف مكان اختفاء الإمام (ع) والقبض عليه .

ولكن الأعوام التسعة عشر من نشاط السفراء ، ومحاولات التجسس الدائمة أسفرت عن شيء جديد وهو ثبوت فكرة السفارة لديها ونشاطاتها المريبة في قبض المال بالوكالة لصالح الإمام (ع) ليس هذا فقط بل هناك قيادة ترعى وتشرف على القواعد الشعبية وتستلم الأموال منها .

وعلى ضوء هذا الاكتشاف الخطير رأى المعتضد عند توليه الخلافة أن أهم واجباته في الحكم ، أن يُبادر فوراً إلى تجديد الحملات لمحاولة القبض على الإمام (ع) .

وقد وضع عملاء الدولة وجواسيسها مخططاً كاملاً تعلم المعتضد بدار الإمام (ع) واحتمال اختفائه هناك ، وقد بعث المعتضد على ثلاثة نفر ، وأمرهم بالخروج إلى سامراء مخفيين لا يكون معهم قليل ولا كثير ، إلا أن يركب كل واحد فرساً وينجب معه آخر ، ووصف لهم محلة وداراً وقال : إذا أتيتموها تجدون على الباب خادماً أسوداً فاكبسوا الدار ، ومن رأيتم فيها فأتوني برأسه ، ^(١) .

ولم يكشف المعتضد لهؤلاء الثلاثة مهمتهم الحقيقية ودون أن يعرفهم بأنهم مكلفون بإلقاء القبض على الإمام المهدي حفاظاً على سمعته وسمعة الدولة ، وخوفاً من تسرب الخبر إلى الناس فيكون مالا يحمد للمعتضد عقباه ، فإن الأمر أدق وأهم من أن يعرفه الناس .

وبدأت الحملة كما أمر المعتضد ، وتوجهوا إلى سامراء وبحثوا عن الدار فكبسوها وجاسوا خلالها ، وكان الإمام (ع) فيها ولكنهم لم يلتفتوا إليه ، ونجا منهم - بمعجزة - يرويها لنا التاريخ بشيء من التفصيل ^(٢) .

وظن المعتضد أن هذه الحملة فشلت لقلة عددها وسرية تنفيذها ومن هنا

(١) الغية للطوسي ١٤٩ البحار ج ١٢ ص ٨ .

(٢) الخرائج والجرائع ص ٦٧ .

نراه يجرد حملة أخرى أكبر

يروى صاحب البحار نص الرواية « ثم بعثوا عسكرياً أكثر ، فلما دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن ، فاجتمعوا على بابه وحفظوه حتى لا يصعد ولا يخرج ، وأميرهم قائم حتى يصل العسكر كله ، فخرج من السكة التي على باب السرداب ومراً عليهم ، فلما غاب ، قال الأمير انزلوا عليه ، فقال : أليس هو مرّاً عليك ، فقال ما رأيت ، ولم تركتموه ، قالوا : إنا حسبنا أنك تراه » .

ومن طريف حال هؤلاء الجلاوزة ، أنهم لم يبادروا للقبض عليه بل وقفوا على باب السرداب يحافظون عليه ، فهم يخافون مواجهته (ع) ويحتاجون إلى مدد أكبر وعدد أكثر فهم مستظرون لوصول المدد من بغداد إلى سامراء ، وفي هذه الأثناء من الترقب ، استغل الإمام (ع) أروع لحظة من لحظات ذلك الحصار ، لحظة اقترنت بالدقة والتوقيت والضبط في التدبير والعناية الإلهية ، إنها لحظة غفلة قائد الحملة عن الترميد والانتباه ، لحظة لم يأت فيه المدد ، ولم تصدر الأوامر بعد لإقتحام المكان .

ولو كان الإمام (ع) قد تأخر لحظات أخرى لقبضوا عليه لا محالة .

• • •

الإمام (ع) والتنظيم الهرمي

يتبين للباحث من مجموع الروايات والنصوص التاريخية أن الإمام (ع) اعتمد تنظيماً هرمياً في ارتباطاته واتصالاته بقواعده ومواليه ، فكان عليه السلام في قمة الهرم قائداً يمارس عمله بسرية وخفاء ، يصدر الأوامر والتعليمات إلى سفرائه مباشرة وهم بمثابة أعضاء الارتباط بينه وبين الوكلاء الذين انتشروا في المناطق البعيدة ، ليكونوا همزة الوصل بين السفراء والقواعد الشعبية الواسعة .

وكان الإمام (ع) يعتمد إلى إحاطة اتصاله بالوكلاء بالغموض المطلق وكان ذلك الاتصال مجهولاً تماماً لدى كل إنسان مهما كان خاصاً ومقرباً ما عدا السفير نفسه الذي يضطلع بمهمة الاتصال المباشر ، ومن الممكن القول بأن السفير كان منهيأ عن التصريح به أساساً لكل أحد .

وكان اختيار الإمام (ع) لأشخاص السفارة وإيكال الوكالة الخاصة لهم ، تقوم على عمق إخلاصهم ، وقوة تحملهم للتعب فيما إذا وقعوا تحت أيدي السلطة ، ولم يشترط الإمام (ع) أن يكون السفير هو الأعرق فقهاً أو الأوسع ثقافة ، لأن السفارة لا تعني إلا التوسط في التبليغ ، ومن هنا جاز إسنادها إلى المفضل مع وجود الأفضل ، حرصاً على الإخلاص العميق وقوة الإرادة .

ومن هنا جاء البعض يعترض على - أي سهل التوبختي - فقيل له : كيف صار هذا الأمر - أي السفارة - إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك ؟ فقال : هم أعلم وما اختاروا ، ولكن أنا رجل ألقى النخوص وأناظرهم ، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة ، لعلني كنت أدل على مكانه ، وأبو القاسم فلو كان الحجة تحت ذيله وقرض ذيله بالمقاربض ما كشف الذيل عنه .^(١)

(١) غيبة الطوسي ٢٤٠ والبحار ج ١٣ ص ٩٨ .

وكانت مسؤولية السفراء في هذا التنظيم عامة وشاملة ، على حين نرى مسؤولية الوكلاء خاصة ، تشمل منطقتهم فقط ، ومهمة الوكيل في التنظيم ، تسهيل عمل السفير وتوسيعه ، خصوصاً أن ظروف العمل السري تمنع حرية الحركة والاتصال المباشر بالقواعد الشعبية المنتشرة في مختلف البلدان الإسلامية ، فيكون لعمل الوكلاء ونشاطهم أكبر الأثر في إيصال التعاليم والتوجيهات إلى أوسع مقدار ممكن من القواعد الشعبية الموالية .

فضلاً على ذلك أن فكرة اعتماد نظام الوكلاء في التنظيم الهرمي ، تساهم في إضفاء طابع التكم والسرية على اسم وشخص السفير فالفرد المنتمي للقواعد الشعبية العارف بفكرة - السفارة - غاية ما يستطيعه هو الاتصال بأحد الوكلاء من دون معرفة اسم السفير أو عمله أو مكانه ، (١) .

وكانت الأموال والحقوق الشرعية تصل الإمام (ع) لبعاد توزيعها بواسطة السفراء ثم الوكلاء لتصرف في مواضعها .
وهذه الأموال منها ما يصل الإمام (ع) مباشرة ، ومنها ما يصرفه الوكيل وفقاً للقواعد والأحكام الإسلامية في صرف الحقوق .

ومن مهمة السفراء أيضاً أخذ الأسئلة وإيصالها من وإلى الإمام (ع) ، تندرج في ذلك الأسئلة الفقهية والعقائدية وغيرها التي كانت توجه للإمام (ع) .

كل شيء عن السفراء الأربعة

السفراء الأربعة هم الذين تولوا الوكالة الخاصة عن الإمام (ع) خلال غيبته الصغرى وهم على التوالي وحسب تسلسلهم التاريخي :

- ١ - عثمان بن سعيد العمري .
- ٢ - محمد بن عثمان العمري .

(١) انتهى المقال ج ١ ص ٢٤١ .

٣ - الحسين بن روح النوبختي . ٤ - علي بن محمد السّري^(١) .

وبانتهايم ينتهي عهد الغيبة الصغرى عام ٣٢٩ هـ . ويبدأ بعدها عهد الغيبة الكبرى .

وقد اضطلعوا بمهمة قيادة قواعد الإمام (ع) من الناحية الفكرية والسلوكية ، طبقاً لتعليمات الإمام (ع) والتوسط بينه وبينها في إيصال التبليغات وإخراج التوقيعات ، وحل مشاكلها وتذليل العقبات التي تصادفها

وقد اعتمدت تحركاتهم ونشاطاتهم السرية التامة دون أن يشيروا السلطات عليهم ، ولكي تنفسح لهم أكبر الفرص وأوسع المجالات للعمل تحت قيادة الإمام (ع) دون أن يقعوا تحت طائلة المطاردة والتنكيل .

ولعل الدوافع التي دفعت السفراء إلى هذا الأسلوب من العمل هي الأسباب التالية : -

١ - خوف السلطة من العلويين ، ومحاولة مطاردة واضطهاد عدد كبير من قادتهم وكبرائهم ، وبكفينا ذلك العدد الضخم من العلويين الذين صرعوا على يد السلطات ، وقد ضبط لنا أسماءهم أبو الفرج في المقاتل^(٢) .

ويقول الطوسي في غيبته « إن سيف المعتضد كان يقطر دماً^(٣) ، وكانت تلك الفترة « مليئة بالظلم والجور وسفك الدماء »^(٤) .

٢ - الجو القلق والمضطرب الذي عاشته قواعد الإمام الشعبية ، والسفراء

(١) راجع تراجم حياتهم في كتاب الغيبة للطوسي .

(٢) الغيبة للطوسي ص ١٨٦ والإرشاد ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٣) المقاتل للأصفهاني .

(٤) الغيبة للطوسي ص ١٧٩ .

(٥) عقيدة الشيعة ص ٢٥٧ لرونلنسن .

الأربعة بنحو خاص ، إلى درجة أن عثمان بن سعيد السفير الأول للإمام (ع) كان ينقل المال في جراب من الدهن ، لشعوره بضغط السلطات ومطاردتهم له ، ولما ينتظره من العقاب الصارم لو عرفت به الدولة أو حصلت تجاهه على مستمسك خطير .

٣ - المطاردة الجاهفة والدائبة للإمام المهدي (ع) ومحاولة إلقاء القبض عليه ، وحملات التفتيش المنظمة لذاره ، فإذا كانت الدولة تقف من الإمام (ع) هذا الموقف فكيف تقف تجاه قواعده ومواليه ١٩ .

وكان السفراء هم حلقة الوصل في قبض وتوزيع الأموال التي كان الموالون يحملونها إلى الإمام (ع) من أطراف البلاد الإسلامية . وكانت الوفود تغدو للسفير تحمل معها للأموال والأسئلة ، تسلم السفير الأموال وتستقي منه أجوبة المسائل وحل المشكلات .

وظاهر بعض الروايات ، أن الأموال كانت تحمل في السنوات الأولى من الغيبة الصغرى إلى سامراء حيث يكون من قبضها هنالك ويسلمها للإمام المهدي (ع) وذلك بدلالة السفير نفسه ، كما فعل أبو جعفر العمري مع الدينور ^(١) . ثم انقطع ذلك ، واستمر السفير على قبض المال بنفسه مع إعطاء الوصل به ^(٢) .

وقبض الأموال وتوزيعها كان يقع سرّاً بعيداً عن أنصين الدولة ورقابتها ولا يصرح به إلا نادراً ، وكان التوزيع - في الأعم الأغلب - يأخذ الأسلوب التجاري أي يعطي للفرد بصفته دائماً مثلاً ، دون أن يشير هذا السلوك شك السلطات .

وكثيراً ما كانوا يواجهون الوشايات بتخطيط رائع ومضاد ، ومن ذلك وصول أخبار إلى مسامع عبد الله بن سليمان الوزير بوجود وكلاء للمهدي (ع) في

(١) البحار ج ١٢ ص ٧٩ .

(٢) الإرشاد ص ٣٣٥ .

بغداد وغيرها من المناطق يعملون لمصالح الإمام (ع) وجاء من ينصح الوزير بأن يرسل لكل وكيل شخصاً وبدعي بأن له مثلاً يريد أن يدفعه للإمام (ع) فمن قبض من الوكلاء شيئاً قامت الحجة عليه ، ويؤخذ عند ذلك بالجرم المشهود ، فضلاً قام الوزير بهذه المحاولة لكشف وكلاء الإمام (ع) إلا أن تعاليم الإمام كانت قد سبقته إلى الوكلاء ، فإما كان منهم إلا التنصل من الوكالة وتجاهل أمرها أمام عملاء الدولة وبذلك أحبطت مؤامرة الوزير ونجاة الوكلاء من براثن السلطات (١) .

ومن النشاطات الأخرى التي مارسها السفراء ، تصديهم لحل المشاكل العلمية والدخول في المناقشات العقائدية إما توجيهاً لقواعدهم الشعبية أو من أجل الاحتجاج ضد الشبهات والدفاع عن الإسلام (٢) .

أهداف السفارة

هناك هدفان تربوي إليها السفارة عن الإمام (ع) هي :-

- ١ - تهيئة أذهان الأمة وتوعيتها لمفهوم - الغيبة الكبرى - وتعويد الناس تدريجياً على الإحتجاب ، وعدم مفاجأتهم بالغيبة دون سابق مقدمات ، ولربما أدى الإحتجاب المفاجئ إلى الإنكار المطلق لوجود المهدي (ع) .
ومن هنا جاء تخطيط الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام بالاختفاء التدريجي عن وسط الأمة ، وضاعفه الإمام العسكري على نفسه ، كما أن الإمام المهدي نفسه تدرج في عمق الإحتجاب كما بينا ، وكانت فترة السفارة أيضاً إحدى الفترات المرحلية لتهيئة الأذهان بشكلها المتدرج .
- ٢ - قيام السفارة برعاية شؤون القواعد الشعبية للولاية للإمام (ع) والتوسط

(١) أعلام الوري ٤٢١ .

(٢) غيبة الشيخ الطوسي ٢٣٩ والإحتجاج ٢٨٨ .

بينها ، لتمضية شؤونها ومصالحها بعد اختفاء الإمام عن مسرح الحياة - بفيتته الكبرى - .

وقد قام السفراء بمسؤوليتهم في هذا الجانب خير قيام حيث اضطلموا بحفظ مصالح القواعد الشعبية ، ومن خلال ظروف اجتماعية وسياسية بالغة التعقيد .

وقد دامت السفارة عن الإمام المهدي تسعاً وستين عاماً وستة أشهر وخمسة عشر يوماً - وهي نفس فترة الغيبة الصغرى - شغل منها السفير الأول عثمان بن سعيد حوالي خمس سنوات ، والسفير الثاني محمد بن عثمان حوالي الأربعين عاماً ، والثالث وهو الحسين بن روح إحدى وعشرين عاماً ، وخلفه السفير الرابع علي بن محمد السمرى ، حيث بقي في السفارة ثلاث سنين . وقد انتهت الغيبة الصغرى عام ٣٢٩ وعمر الإمام (ع) أربع وسبعون عاماً ، قضى أربع سنين ونصف منها في حياة أبيه (ع) وتسعة وستين عاماً ونصف وخمسة عشر يوماً في الغيبة الصغرى ، ثم بدأت الغيبة الكبرى حيث يأذن الله تعالى له بالخروج لكي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .



مركز تقيت كنج پوز علوم و فرهنگ اسلامی

٢٢٨	 الوشایات تبوء بالفشل
٢٣٠	 دور الامام (ع) وموقفه من الأحداث
٢٣١	 موقف العباسيين من تخطيط الامام (ع)
٢٣٢	 الثورات العلوية والدعوة للرضا من آل محمد (ص)
٢٣٥	 الامام الحسن العسكري (ع)
٢٣٦	 خطة الامام (ع) في مواجهته للأحداث
٢٣٦	 - الموقف الأول
٢٣٩	 - الموقف الثاني / موقفه من الحركة العلمية والتثقيف العقائدي
٢٤٠	 - الموقف الثالث
٢٤٨	 - الموقف الرابع / موقفه من التمهيد للغيبة
٢٤٣	 الامام بمهد لغيبة ولده المهدي (ع)
٢٤٧	 الامام المهدي (ع)
٢٤٨	 في ظروف ولادة الامام المهدي (ع)
٢٤٩	 ولادته (ع)
٢٤٩	 مسؤولية الامام العسكري تجاه ولده (ع)
٢٥١	 جعفر بن علي بنجر الدولة
٢٥٣	 الغيبة الصغرى
٢٥٤	 مطاردة السلطات للامام (ع)
٢٥٧	 الامام (ع) والتنظيم الهرمي
٢٥٨	 كل شيء عن السفراء الأربعة
٢٦١	 أهداف السفارة
٢٦٣	 الخاتمة / خلاصة البحث
٢٦٤	 النظرية الاسلامية وعلاقتها بأساليب العمل
٢٦٦	 خطوط عريضة في أساليب العمل
٢٦٧	 التفكير الرياضي والتفكير الاجتماعي